نظام الدعم المتعدد المستويات للأفراد ذوي الإعاقة الذهنية

مقدمة:-

شهدت التربية الخاصة تحولاً جوهرياً من النماذج التقليدية القائمة على العزل والتصنيف، إلى نماذج حديثة تركز على الدعم والتمكين والاندماج. و يأتي هذا التحول استجابة للتطورات النظرية والتشريعية التي أعادت تعريف مفهوم الإعاقة الذهنية ليس كحالة داخلية ثابتة، بل كنتاج للتفاعل بين الفرد وبيئته. اذ تبدأ الرعاية التربوية للأفراد ذوي الإعاقة الذهنية من فهم طبيعة احتياجاتهم،التي تتسم بالتنوع والتعقيد. ولم يعد النهج القائم على العزل والمنهج الموحد مقبولاً في الممارسة الحديثة ،لذا تتبنى التربية الخاصة المعاصرة أنظمة دعم هرمية وقائمة على البيانات، تهدف إلى توفير التعليم الفعال للجميع، مع تقديم تدخلات مكثفة ومخصصة لمن يحتاجها.

و لقد شهدت العقود الأخيرة تحولاً جذرياً في الفلسفة التربوية للمعاقين ذهنياً، حيث انتقلنا من النموذج الطبي القائم على "علاج القصور" إلى النموذج البيئي القائم على "توفير الدعم"

هذا التحول لم يكن مجرد تغيير في المصطلحات، بل كان نقلة نوعية في الفكر والممارسة، تجسدت في الاعتراف بأن الإعاقة الذهنية هي نتاج للتفاعل بين قدرات الفرد وبيئته، وليست مجرد سمة داخلية ثابتة.

نظام الدعم: "مجموعة الاستراتيجيات والموارد التي تهدف إلى تعزيز التطور والتعلم والمشاركة الاجتماعية للفرد ذي الإعاقة الذهنية "

التطور من النموذج الطبي إلى النموذج البيئي والوظيفي:

النموذج الطبي (القديم): كان يركز على "علاج" القصور داخل الفرد، معتبراً الإعاقة الذهنية حالة مرضية.

النموذج البيئي (الحديث): ينظر إلى الإعاقة الذهنية كنتاج للتفاعل بين قدرات الفرد المحدودة وبيئته غير المساندة. وفقاً لهذا المنظور، تقع مسؤولية التغيير على تعديل البيئة وتقديم الدعم المناسب لتعزيز المشاركة والاستقلالية.(Schalock et al., 2021,56)

الأسس النظرية لأنظمة الدعم :-

لابد لنا بدايةً من فهم الأسس النظرية الراسخة التي تقوم عليها أنظمة الدعم الحديثة، حيث تشكل هذه النظريات الإطار الفكري الذي يوجه ممارساتنا التربوية ويحدد مسارات تدخلاتنا.

1- النظرية البيئية Urie Bronfenbrenner - (Ecological Theory) (1979)

تنطلق هذه النظرية من مفهوم "النظم البيئية المتداخلة" التي يتفاعل معها الفرد، فالنظرية البيئية لـ (Bronfenbrenner) تؤكد أن الفرد يتطور ضمن أنظمة بيئية متداخلة، مما يعني أن التدخل الفعال يجب أن يشمل الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع وان تطبيقات هذه النظرية في مجال الإعاقة الذهنية تتجلى في ضرورة تصميم التدخلات الشاملة التي تشمل جميع هذه الأنظمة، وعدم اقتصارها على الفرد فقط.

حيث يرى (Bronfenbrenner , 1979) أن النمو البشري يحدث ضمن خمسة أنظمة مترابطة :

- النظام الدقيق :(Microsystem) يشمل العلاقات المباشرة في البيئات القريبة مثل الأسرة والمدرسة.
- النظام المتوسط :(Mesosystem) يتمثل في التفاعلات بين مكونات النظام الدقيق.
- النظام الخارجي :(Exosystem) يشمل البيئات غير المباشرة التي تؤثر على الفرد.
- النظام الكلي :(Macrosystem) يمثل الثقافة السائدة والقيم الاجتماعية.
- النظام الزمني :(Chronosystem) يغطي التغيرات عبر الزمن.

2- النظرية البنائية الاجتماعية Lev Vygotsky - (Social Constructivism) (1978)

تركزهذه النظرية على البعد الاجتماعي للتعلم،اذ تركز على دور التفاعل الاجتماعي في التعلم، حيث يشكل مفهوم " نطاق التعلم القريب حجر الزاوية في فهم كيفية تقديم الدعم التدريجي الذي يمكن الطالب من الانتقال من الاعتماد على الآخرين إلى الاستقلالية. وتقدم مفهومين بالغا الأهمية:

- ❖ نطاق التعلم القريب : - وهو الفرق بين ما يمكن للفرد تحقيقه بمفرده وما يمكن تحقيقه بمساعدة الآخرين في سياق الإعاقة الذهنية، يمثل هذا المفهوم الأساس العلمي لتقديم الدعم التدريجي الذي يبدأ بالمساعدة الكاملة وينتهي بالاستقلالية.

- الدعم المتدرج : - وهي الدعم المؤقت الذي يقدمه المعلم أو الأقران لتمكين المتعلم من إنجاز المهام التي لا يستطيع إنجازها بمفرده. في برامج الدعم المكثف، يتم تصميم استراتيجيات تعليمية متدرجة تتناسب مع قدرات الطالب ذي الإعاقة الذهنية.

3- النظرية السلوكية(1953) B.F. Skinner - (Behavioral Theory)

تشكل النظرية السلوكية الأساس العلمي لتحليل السلوك التطبيقي(ABA) ،وقد أثبتت البرامج القائمة على هذه النظرية فعالية كبيرة في تعليم المهارات الوظيفية وتعديل السلوكيات غير التكيفية للأفراد ذوي الإعاقة الذهنية. ولا يمكن إغفال دور النظرية السلوكية في تطوير استراتيجيات التدخل المبنية على تحليل السلوك التطبيقي، التي أثبتت فعاليتها في تعليم المهارات وتعديل السلوك. وتقوم على المبادئ التالية:

- التعزيز الإيجابي والسلبي: استخدام المثيرات المعززة لزيادة تكرار السلوكيات المرغوبة.
- التشكيل :(Shaping) تعزيز التقريبات المتتالية للسلوك المستهدف.
- التعميم :(Generalization) ضمان انتقال أثر التعلم إلى سياقات ومواقف جديدة.

4- نظرية المعالجة المعلوماتية - (Information Processing Theory) Atkinson & Shiffrin (1968)

تقدم هذه النظرية نموذجاً لفهم العمليات المعرفية من خلال تشبيه العقل البشري بالحاسوب، كما لها رؤى قيمة حول كيفية تصميم طرق تعليمية تتجاوز قيود الذاكرة العاملة والمعالجة المعرفية. وتفيد في:

- تحليل مسارات معالجة المعلومات لدى ذوي الإعاقة الذهنية.
- تصميم استراتيجيات تعويضية لضعف الذاكرة العاملة.
- تطوير طرق تعليمية تتجاوز قيود المعالجة البصرية والسمعية.

5- نظرية التوقع والقيمة Eccles & Wigfield - (Expectancy-Value Theory) (2002)

تنص هذه النظرية على أن الدافعية للتعلم = توقع النجاح × قيمة المهمة. تطبيقاتها في التدخل المكثف و تشمل ما يلي :-

- بناء توقعات واقعية للنجاح من خلال تقسيم المهام إلى خطوات صغيرة.
- زيادة قيمة المهام التعليمية من خلال ربطها بحياة الطالب اليومية.
- تعزيز الدافعية الجوهرية من خلال خلق بيئات تعلم داعمة.

5- نظرية التحديد الذاتي (Self-Determination Theory) - Deci & Ryan (2000)

تركز هذه النظرية على الحاجات النفسية الأساسية الثلاث: الكفاءة، الاستقلالية، والانتماء. في سياق الإعاقة الذهنية، يتم تطبيقها من خلال:

- تعزيز مهارات التحديد الذاتي مثل اتخاذ القرارات.
- توفير خيارات للطالب ضمن البرنامج التعليمي.
- بناء علاقات إيجابية داعمة.

التصنيف الشامل لأنواع الدعم:

المحور الأول: التصنيف وفقاً لمصدر الدعم وطبيعته:

1 -الدعم الطبيعي:(Natural Supports)

يشير إلى شبكة المساندة غير الرسمية التي تنبثق بشكل عضوي من حياة الفرد اليومية. مصدر هذا الدعم هو العلاقات الطبيعية ، مثل الأسرة، الأصدقاء، الزملاء في العمل أو المدرسة، والجيران. تعتبر فعاليته عالية لأنه مستدام، ويعزز الاندماج الحقيقي. على الباحثين والممارسين دراسة كيفية تحفيز وتعزيز هذه الشبكات الطبيعية بدلاً من استبدالها بدعم رسمي.

2-الدعم المنشأ:(Constructed Supports)

هو الدعم الرسمي والمقصود الذي يتم تصميمه وتنفيذه من قبل متخصصين. هذا النوع من الدعم يكون ممنهجاً، قابلاً للقياس، ويستند إلى الأدلة. أمثلته تشمل البرنامج التربوي الفردي(IEP) ، جلسات العلاج الوظيفي والنطقي، وبرامج التدريب على المهارات المهنية في بيئات مُعدة. دوركم كمتخصصين مستقبليين هو الإتقان العلمي والعملي لهذا النوع من الدعم.

المحور الثاني: التصنيف وفقاً لمجال التطبيق (مجالات الحياة الأساسية)

هذا التصنيف هو العمود الفقري للتخطيط الفردي، حيث يتم تفكيك حياة الفرد إلى مجالات وظيفية رئيسية لتقديم الدعم المستهدف.

1 -الدعم الأكاديمي والوظيفي:(Academic & Functional Support)

تجاوز هذا الدعم مفهوم "التعليم" التقليدي لينتقل إلى "التعلم الوظيفي". الهدف ليس اجتياز امتحان، بل تمكين الفرد من استخدام المعرفة في حياته. الاستراتيجيات هنا متقدمة، وتشمل:

- ❖ التعليم المباشر الصريح :(Explicit Direct Instruction) وهو تفكيك المهارات المعقدة إلى سلسلة من الخطوات الصغيرة المنظمة، مع النمذجة والممارسة الموجهة والتغذية الراجعة الفورية.
- ❖ التدريس الوظيفي :(Functional Teaching) حيث يتم ربط مهارة القراءة بقراءة لافتات المحلات، وربط الحساب بحساب النقود أثناء التسوق.
- ❖ التكنولوجيا المساندة :(Assistive Technology) من برامج تحويل النص إلى كلام للمستويات البسيطة، إلى أجهزة التواصل المُعزز والبديل (AAC) للمستويات الشديدة.

2-دعم الاعتماد على الذات والحياة اليومية:(Self-Care & Daily Living Support)

يهدف إلى تحقيق أقصى قدر ممكن من الاستقلالية والكرامة الشخصية. يستخدم هنا منهج تحليل المهمة (Task Analysis) بشكل مكثف، حيث تُقسّم المهارات الحياتية (كإعداد وجبة بسيطة أو ارتداء الملابس) إلى مكوناتها السلوكية الفرعية. ثم يتم استخدام استراتيجيات مثل التدريب المتدرج (Graduated Guidance)والتعليم الخفي (Time Delay) لتعليم هذه الخطوات بشكل منهجي.

3-الدعم الاجتماعي والانفعالي:(Social & Emotional Support)

تمثل الصعوبات الاجتماعية أحد أبرز تحديات هذه الفئة. الدعم هنا لا يكون عشوائياً، بل يستند إلى مناهج محددة مثل:

- ❖ التدريس المباشر للمهارات الاجتماعية :(Social Skills Training) حيث يتم تعليم مهارات محددة كبدء المحادثة، والحفاظ على التناوب في الحوار، وتفسير لغة الجسد.
- ❖ القصص الاجتماعية :(Social Stories) التي طورتها كارول غراي، وهي قصص مخصصة تشرح المواقف الاجتماعية المعقدة بمنظور يمكن للفرد فهمه.
- ❖ تدريب التنظيم الانفعالي :(Emotional Regulation Training) لمساعدة الفرد على التعرف على مشاعره وإدارتها بطرق تكيفية بدلاً من الانفجارية.

4-الدعم السلوكي الإيجابي:(Positive Behavioral Support - PBS)

يجب أن نفهم أن السلوكيات غير المرغوبة هي في الغالب شكل من أشكال التواصل. لذلك، فإن الدعم السلوكي الحديث يتجاوز "العقاب" إلى تحليل الوظيفة السلوكية (Functional Behavior Assessment - FBA)لفهم الغرض من السلوك (كجذب الانتباه أو الهروب من مطلب صعب). بناءً على هذا التحليل، يتم تصميم تدخلات استباقية، أبرزها تعزيز السلوكيات البديلة (Functional Communication Training - FCT)، حيث نعلم الفرد طريقة مناسبة للتواصل (كاستخدام صورة أو كلمة) لتحقيق نفس الغرض الذي كان يحققه بالسلوك غير المرغوب.

5-الدعم الصحي والسلامة:(Health & Safety Support)

يشمل هذا المجال التثقيف الصحي المُبسط، كالمساندة في الوصول إلى الخدمات الطبية، وإجراء التعديلات البيئية (Environmental Modifications) لضمان السلامة، مثل استخدام الإشارات البصرية الواضحة، وإزالة العوائق الفيزيائية، واستخدام أدوات مطبخ مكيفة.

6-**الدعم الأسري**:**(Family Support)**

الأسرة هي النظام الداعم الأساسي والأكثر استدامة. الدعم الأسري لا يقتصر على تقديم المعلومات، بل يشمل الإرشاد النفسي، تدريب الوالدين على استراتيجيات التدخل، وتمكينهم من أن يكونوا مدافعين فعالين عن حقوق أبنائهم. جودة حياة الأسرة مؤشر حاسم على نجاح نظام الدعم ككل.

المحور الثالث: التصنيف وفقاً للشدة والتكرار - نموذجMTSS

يقدم نظام الدعم متعدد المستويات (Multi-Tiered System of Support - MTSS) إطاراً هرمياً لتقديم الدعم:

المستوى 1:- الدعم العالمي :(Universal Support) يقدم لجميع الطلاب في البيئة العامة، ويعتمد على مبادئ التصميم الشامل للتعلم (UDL) وإدارة السلوك الإيجابي على مستوى المدرسة (PBIS).

المستوى 2: - الدعم المستهدف :(Targeted Support) تدخلات إضافية لمجموعات صغيرة من الطلاب الذين لم يستجيبوا بشكل كافٍ للمستوى الأول. يكون الدعم أكثر تكراراً وتركيزاً على مهارات محددة.

المستوى 3:- الدعم المكثف والفردي :(Intensive & Individualized Support) هذا هو مستوى الدعم الأكثر شدة، وهو مصمم خصيصاً للطلاب ذوي الإعاقة الذهنية وغيرهم ممن لديهم احتياجات شديدة. يتميز بكونه فردياً، عالي التكرار (يومياً)، طويل المدة، ويقدم من قبل متخصصين.

الدعم المكثف

الدعم المكثف: - تقديم خدمات متخصصة عالية الكثافة والتردد، فردية التصميم، مبنية على التقييم الشامل، وتهدف إلى تحقيق تقدم في المجالات الحرجة للفرد.

التعريف الأكاديمي: "نظام متكامل من الخدمات والتدخلات عالية الشدة والتخصص، تُصمم بشكل فردي بناءً على تقييم شامل، وتهدف إلى تطوير المهارات الوظيفية والحد من تأثير الإعاقة على حياة الفرد، مع توفير الدعم في مختلف البيئات الطبيعية".

التعريف الوظيفي: تقديم تدخل منظم ومخطط بصورة مكثفة ولفترات ممتدة، وبشكل فردي، بهدف سد الفجوة بين الأداء الحالي للأفراد ذوي الإعاقة الذهنية والأداء المتوقع لأقرانهم في نفس العمر

أهمية الدعم المكثف:-

يتميز الدعم المكثف بعدة خصائص جوهرية، **أولها** الشدة التي تتحقق من خلال زيادة جرعة التدخل وتكراره ومدته، حيث تقدم الجلسات بشكل يومي ولمدة أطول. و**ثانيها** الفردية، حيث يصمم البرنامج خصيصاً لكل طالب بناءً على نقاط القوة والاحتياجات المحددة. و**ثالثها** الشمولية، حيث يشمل التدخل جميع جوانب الشخص. وبهذا يتم تقديم تدخلات عالية الشدة والتخصص، مصممة بشكل فردي بناءً على تقييم شامل.

استراتيجيات الدعم المكثف :-

نعتمد في التدخل المكثف على مجموعة من الاستراتيجيات المبنية على الأدلة العلمية، نذكر منها تحليل السلوك التطبيقي بأساليبه المتنوعة مثل التعليم التجريبي المنفصل والتدريب في البيئة الطبيعية. كما نستخدم التدريس المباشر الذي يتميز بالتقديم الصريح للمعلومات والنمذجة المتعددة والممارسة الموجهة.ولا يمكن إغفال دور استراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية التفكير الاستراتيجي، والتعليم الوظيفي الذي يربط المهارات الأكاديمية بحاجات الحياة اليومية. كما يلعب العلاج النطقي واللغوي دوراً محورياً في تطوير مهارات التواصل، والعلاج الوظيفي في تطوير المهارات الحركية والعناية الذاتية.

دور التقنيات المساعدة في تعزيز الاستقلالية:

تشكل التقنيات المساعدة ركيزة أساسية في التدخل المكثف، حيث تتراوح من أنظمة التواصل البديلة البسيطة إلى الأجهزة المتطورة لتوليد الكلام. كما تقدم التقنيات المساعدة في التعليم حلاً لمشكلات القراءة والكتابة، وتسهم تقنيات التنظيم في تعزيز الاستقلالية.

الفريق متعدد التخصصات:

لا يمكن للتدخل المكثف أن ينجح بدون عمل فريق متعدد التخصصات، يضم الأسرة كشريك أساسي، والمعلم المتخصص، والأخصائي النفسي، وأخصائي النطق واللغة، والأخصائي الوظيفي، والطبيب. يعمل هذا الفريق بشكل منسق من خلال اجتماعات منتظمة وقنوات اتصال فعالة.

الدعم عبر المراحل العمرية:

يتغير تركيز التدخل المكثف عبر المراحل العمرية المختلفة، ففي الطفولة المبكرة يركز على المهارات ما قبل الأكاديمية وتنمية التواصل، وفي التعليم الأساسي ينتقل إلى المهارات الأكاديمية الوظيفية والمهارات الاجتماعية، وفي المراهقة يتجه نحو المهارات المهنية والاستقلالية، وفي البلوغ يهدف إلى تحقيق المشاركة المجتمعية والاعتماد على الذات.

عملية التقييم الشامل:

يبدأ التدخل المكثف بتقييم شامل متعدد الأبعاد:

التقييم النفسي العصبي:

- استخدام مقاييس الذكاء المناسبة (مقياس ستانفورد بينيه - الإصدار الخامس)
- تقييم العمليات المعرفية (الانتباه، الذاكرة، الوظائف التنفيذية)

تقييم السلوك التكيفي:

- تطبيق مقاييس مقننة مقياس فينلاند(Vineland-3)
- تقييم المهارات الحياتية اليومية

تحليل المهمة:(Task Analysis)

- تفكيك المهارات المعقدة إلى مكوناتها السلوكية الفرعية
- تحديد نقاط القوة والضعف في سلسلة الأداء

التقييم البيئي:

- تحليل متطلبات البيئات الطبيعية
- تحديد درجة الدعم المتوفر في البيئة

تقييم الفعالية وقياس النتائج:

نقيم فعالية برامج الدعم المكثف على مستويات متعددة، تشمل التقييم على مستوى الفرد من خلال مراقبة التقدم نحو الأهداف الفردية، وعلى مستوى البرنامج من خلال تقييم فعالية الاستراتيجيات المستخدمة، وعلى مستوى النظام من خلال تقييم سياسات الدعم المكثف.

مكونات وعناصر الدعم المكثف:

1- **أبعاد الشدة في التدخل المكثف:-** يتكون التدخل المكثف من عدة أبعاد مترابطة:

❖ **البعد الزمني:**

- الجرعة 30-15 :(Dosage) ساعة أسبوعياً من التدخل المباشر
- المدة 12-6 :(Duration) شهراً من التدخل المستمر
- التكرار 7-5 :(Frequency) جلسات أسبوعياً لكل مهارة مستهدفة

❖ **البعد الكمي:**

- حجم المجموعة: تدريس فردي أو مجموعات صغيرة جداً (طالبان كحد أقصى)
- نسبة الكادر إلى الطلاب: 1:1 أو 1:2 كحد أقصى

❖ **البعد النوعي:**

- درجة التخصص: تقديم من قبل متخصصين مؤهلين في التربية الخاصة
- فردية المحتوى: تصميم المنهاج والأنشطة خصيصاً للطالب
- التقنيات المستخدمة: استخدام أحدث الاستراتيجيات المبنية على الأدلة

2- استراتيجيات التعلم المنظم

❖ **التعليم المنظم**(Structured Teaching)

- تقسيم البيئة إلى مناطق وظيفية محددة
- استخدام الجداول البصرية الفردية
- تنظيم المهام في تسلسل منطقي

❖ **نظام التواصل بتبادل الصور**(PECS)

- ست مراحل متدرجة من التدريب
- تطوير التواصل الوظيفي التلقائي
- تقليل السلوكيات غير المرغوبة ذات الوظيفة التواصلية

❖ **استراتيجيات التدريس المباشر**

- التعليم التجريبي المنفصل(DTT)
- تقديم المعلومة في تجارب منفصلة ومتكررة
- استخدام التلميحات والإرشادات المكثفة
- تطبيق التعزيز الفوري والدقيق

❖ **التدريب في البيئة الطبيعية**(NET)

- استغلال الفرص التعليمية الطبيعية
- التدريس في سياق الاستخدام الوظيفي
- تعزيز التعميم والتطبيق في سياقات متعددة

❖ **استراتيجيات تعديل السلوك المتقدمة**

- تحليل الوظيفة السلوكية(FBA)
- جمع البيانات عبر الملاحظة المباشرة
- تحليل الظروف السابقة واللاحقة للسلوك
- تحديد الوظيفة الأساسية للسلوك

تصميم البرامج الفردية المكثفة:

1- مكونات البرنامج المكثف الناجح

❖ **الأهداف الوظيفية ذات الأولوية**

- اختيار المهارات ذات الأهمية الحالية والمستقبلية.
- التركيز على المهارات التي تزيد من الاستقلالية.
- اختيار المهارات التي تقلل الاعتماد على الآخرين.

❖ **معايير الأداء الدقيقة**

- تحديد معايير قابلة للقياس والملاحظة.
- وضع مستويات أداء واقعية وقابلة للتحقيق.
- تحديد شروط الإتقان بشكل دقيق.

2- نظام جمع البيانات والمراقبة

❖ **مراقبة التقدم اليومي**

- استخدام نماذج جمع البيانات السلوكية.
- تطبيق مقاييس التقدم الأكاديمي.
- توثيق التغير في السلوك التكيفي.

❖ **التحليل الإحصائي للبيانات**

- استخدام الرسوم البيانية لتمثيل البيانات.
- تطبيق التحليل البصري للاتجاهات.
- اتخاذ القرارات بناءً على تحليل البيانات.

معايير الجودة في تقديم الخدمات:-

- الكفاءة المهنية: تأهيل الكوادر وتدريبهم المستمر.
- الفعالية: تحقيق النتائج المستهدفة.
- الكفاءة: الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة.
- الاستمرارية: ضمان تقديم الخدمة بانتظام.

المصادر العلمية

1 - الخطيب، جمال (2022). "التدخل المبكر للأطفال ذوي الإعاقة الذهنية: استراتيجيات التدخل الشامل". دار الفكر، عمان.

2 - الصمادي، محمد (2021). "الإعاقة الذهنية: التشخيص والتدخل". دار المسيرة، عمان.

3 -الزيات، فتحي (2020). "الإعاقة العقلية: النماذج والتطبيقات". دار النشر للجامعات، القاهرة.

- American Association on Intellectual and Developmental Disabilities. (2021). Intellectual Disability: Definition, Diagnosis, .Classification, and Systems of Supports

- Schalock, R. L., et al. (2021). Intellectual disability: Definition, .diagnosis, classification, and systems of supports

- Snell, M. E., & Brown, F. (2021). Instruction of Students with Severe .Disabilities

- Westling, D. L., Fox, L., & Carter, E. W. (2020). Teaching Students .with Severe Disabilities

- Browder, D. M., & Spooner, F. (2021). More Language Arts, Math, .and Science for Students with Severe Disabilities